

أَخْلَامَ مَشْرُوطَة

قصة قصيرة

د. جميلة الوطني \*

على حافة الضجر أصبحت قاب فكّين أودني من الابتلاع،  
قرّرت الهروب نحو موج البحر غير المتناهي لعلّي أجد حلًّا، سرّرتُ  
مجرّدًا من أيّة فكرةٍ أو برنامجٍ، سلّمته نفسي بيضاء نقيّة،  
استهوتني فكرة حديث نفسي، على الشاطئ أسير حافيًا على  
الرمل الذي غدا أغور وأبعد وأكثر احتضانًا للسائرين، أخيرًا وصلت،  
خلعتُ حذاء التوجّس أتأمل صراع الموجات وزمهريرها الذي  
يُهزّم على عنفوان الحجر.

لغّني تعب السير، بحثتُ عمّا أستند إليه، لاح أمامي، هناك في  
البعيد صخرةً يتيمةً كاد يلامسها الموج عند محاولته الوصول  
لأعلى المدّيات، جلست عليها أرقب السماء المكفهرة، بعض  
الغيّات تتشع بالبياض، فيما الأخريات يتّخذن من الجمود

\* كاتبة وشاعرة من مملكة البحرين

مَسْنَدًا لهن، غائبٌ أنا عن الوجود، لا أشعر بما يدور حولي،  
لفحتني برودة قطراتٍ هاربةٍ من تماسك موجةٍ هادرةٍ تسببت  
في إيقاظي من غيبوبةٍ طوعيةٍ، أعادتني إلى مباحج الطبيعة،  
تسمرتُ عيناى على منظر اصفرارٍ يتقدّم من عمق الشاطئ إلى  
البحر، تمعّنتُ بتأنٍ، مسحتُ عينيّ جيّدًا لأتأكد من صدق رؤيتي،  
لم يمرّ وقتٌ طويلٌ حتى اتّجه الكائن الغريب نحوي عن قصد،  
شعرتُ حينها بالخوف يتسرّب إليّ مرتعبًا قلتُ لنفسي:

- يا لهول المصيبة! ما هذا اللون الأصفر الغازي لشعرها؟! ما  
أجملَ قميصها القاني المتعاكس بوهج وصراخ اللّونيين!  
اقتربتُ أكثر فأكثر، تعدّتِ البحر وباتت في ال... أووه، إنها ترفع  
سروالها إلى أعلى الركبتين، لتظهر ساقها المرمريّتين ببياضٍ  
مثيرٍ كلوحةٍ تزداد جمالًا بانعكاس زرقة البحر.

خلعتُ قميصها، فأذهلتُ رُواد الشاطئ، يا الله... إنها ترمي  
قميصها على الرمل! ما هذا؟! هل أنا في حلم؟!

نزلت من أعلى الصخرة، تقدّمت نحوها، بدت ككائنٍ خرافيٍّ، عجز وعيي عن وصفه، حدّثت نفسي:

- يا لهذا القَدْر! محاولاتها المثيرة تُصعّب التنبؤ ببقاء شيءٍ على جسدها، هل أتوقّف؟ أتقدّم؟ لا لا، دعوني أترقّب ما بعد ذلك.

أخذت أتمعّن أكثر في مكامن تضاريسها، بدت كحوريّة غريبة! تلبّستني الدهشة، دفعتني للصراخ بلا وعي، شعرت برأسي يرتطم بحفرة رملٍ منسيّة على الشاطئ، حتى وطأها بخرافةٍ جنوني وغيابي الذهنيّ الذي تلاشى يطارد تلك الحوريّة الشهية بتشكيلات أعضاء جسدها الطاغي بأنوثته، نهضت أنفض الرمل من ملابسني؛ محاولاً إقالة عثرتي، حتى أصابتنني دهشةٌ أخرى لا تقلّ عن الأولى: "أين ذهبت الحورية؟ أين اختفت؟! يا ربي! هل كنت أحلم؟! لا.. لا، إنها حقيقة، لكن.. كيف اختفت بهذه السرعة؟! يا لغبائي وسوء حظي!"

ركضت دون إرادة لأقرب شارع، عسى أن أجدها، دون جدوى أتمتم: "يا لبؤس حالي! لقد فقدتها وأنا بقمة خيالي!"

عدت إلى الصخرة؛ علني أجد دليلاً عليها، بلا جدوى باءت محاولاتى بالفشل، جنّ جنونى، توترت أعصابى وخيم عليّ الحزن. فيما كنت أترقب الزمن مستغرقاً بالتأمل، تذكرت إحدى الحكايات التي روتها جدتي: "الأميرة ياقوتة التي وقعت في مشكلة، واستنجدت بالمارد الذي أنقذها". .. آاه، أين أنت يا جدتي؟ أين المارد؟ أين أنا من هذه اللحظة المفترسة، أشعر بمزيج من اللا شيء يعتريني، يعيد تكويني، أحسستُ أنني أولد من مخاض البحر، رجم الحورية، وفيما كنت مشتتاً حد الغياب في فصول تلك الحكاية غير المبرمجة، قدحت ببالي فكرة الاستنجاد بالمارد؛ علّه يدلني على حورية البحر التي تفتت بحركاتها وعزيبها بما تسلب به الألباب ويسيل له اللعاب، وفيما كنت كذلك إذا بأحدهم يلكنني بقوةٍ بعصاه على كتفي:

- أنت، يا هذا، قم معنا.

- إلى أين؟ ومن أنتم؟

- نحن شرطة المدينة، ألا تعرفنا؟

يقرأ بطاقة التعريف الملتصقة على معطفه... "ش. ش. شرطة  
مكافحة الحالمين"

يصرخ في وجهه:

- ألا تعرف أن الحلم ممنوع، ألم تلاحظ أنك تحلم في وضح  
النهار وأمام الجميع؟

- أعتذر، لم أكن على علمٍ بأنني في مدينةٍ يُمنَع على سگانها  
الحلم!

- اعتذارك لن يغيّر من الأمر شيئاً، أنت رهن الاعتقال، سنقيّدك،  
وفي المحكمة قل ما تريد أمام القاضي..

تتسارع الصور، تتقاذفه المكنونات، يحاول الانسلاخ ولو بكابوس،  
ففي المحكمة يسمع قضايا عديدة مختلفة، تحتاج للمارد  
ومصباحه السحري، يسمع الحكم بقضيته، أناس يستعدّون  
لعقابه، يقتربون، ما إن شرعوا في جلده حتى استيقظ مذعوراً.

أوه، لقد كنت أحلم، كان حلمًا مربكًا، أحداثه كثيرة: شاطئ، صخرة، غريبة شقراء، شرطة أحلام و.... تنبّه لتأخره عن العمل، غادر سريره، في الطريق رأى الكثير من أشباه الشقراء، يتجولن بحرية في الأنحاء، خلف المكاتب جالسات يأمرن، يرى الكثير من منقذي الأنظمة يراقبون الناس، والشاطئ وقد اختلقت مياهه العذبة بمياه المجاري، يبدو الواقع كأنه كابوس، يشهق صارخًا:

- أين شرطة الكوابيس؟!

د. جميلة الوطني

كاتبة وشاعرة من مملكة البحرين

